٢٠- لا تكن خادعًا ولا منخدعًا...

اعلم يا بني ويا بنيتي أن ثَمَّ صِنف من الناس، هو أخو المنافق وشبيهه، له من الوجوه ما لا يُحصَى، يَضُر حين يُرجى نفعه، ويُضلِّل حين تُطلب هدايته، ويغش حين تُستوجَب نصيحته، ويكذب حين يُتوقع صدقه.

وهذا هو المخادع يا بني، فهو مَن: تغير من حال إلى حال. يقال: خَدَع فلانٌ: تخلق بغير خلقه. ويقال: هو خادع الرأي: متلون لا يثبت على رأي". (١)

والخديعة كما سبق، صفة من صفات المنافقين قال الله تعالى:﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾ [البقرة:٩] .

وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء:١٤٢].

وهي صفة " مذمومة، والمذموم يجب أن يُميز عن غيره لكي لا يُفعل، وأصل هذه اللفظة الإخفاء، وسميت الخزانة المخدع، والأخدعان عرقان في العنق لأنهما خفيان. وقالوا: خدع الضب خدعًا إذا توارى في جحره فلم يظهر إلا قليلًا، وطريق خيدع وخادع، إذا كان مخالفًا للمقصد بحيث لا يفطن له، ومنه المخدع.

وأما حدها فهو إظهار ما يوهم السلامة والسداد، وإبطان ما يقتضي الإضرار بالغير والتخلص منه، فهو بمنزلة النفاق في الكفر، والرياء في الأفعال الحسنة، وكل ذلك بخلاف ما يقتضيه الدين، لأن الدين يوجب

(١) المعجم الوجيز ص١٨٧.

الاستقامة، والعدول عن الغرور والإساءة، كما يوجب المخالصة لله تعالى في العبادة، ومن هذا الجنس وصْفهم المرائي بأنه مدلس إذا أظهر خلاف مراده، ومنه أخذ التدليس في الحديث، لأن الراوي يوهم السماع ممن لم يسمع، وإذا أعلن ذلك لا يقال مدلس". (١)

وهي صفة تُردي صاحبها في جهنم، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مَنَّانٌ ". (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ ". (٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ ". (٤)

والخَبُّ هو: الخداع. (٥)

والخديعة لا تجوز إلا في أوقات الحرب قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْحَرْبُ خَدْعَةٌ ". (٦)

وإذا كانت الخديعة والمخادع مذمومين، فإن المنخدع مذموم كذلك، لقلة عقله، وتصديقه لكل ما يقال له، ولحسن ظنه بكل إنسان، وحمله لكل أمر على محامده، وانقياده لكل من يقول قولًا، أو يطرح رأيًا.

---

(١) مفاتيح الغيب ١/ ٤٣٨.
(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو يعلي.
(٣) رواه الترمذي وأبو داود والحاكم في مستدركه.
(٤) رواه الحاكم في مستدركه.
(٥) القاموس المحيط ١/ ٥٩.
(٦) رواه ابن ماجة والترمذي من حديث ابن عباس.

وهذا يُوقع المنخدع في حرج، ويعرضه لكل أنواع الأذى والضرر، فضلًا عن انتقاص المجتمع من مكانته وقدره.

أما من يتفكر ويتدبر في كل قول أو فعل، ويأبى أن يكون تابعًا لكل من يريد قيادته، ولا يسرف في حسن الظن بالآخرين، فهذا بعيد عن الانخداع ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لست بالخب ولا الخب يخدعني.

وهذا حال كل من كمل عقله، ومن يثق في قدراته وفكره.

من مضار الخداع...

١ـ ظلم الناس وغبنهم وأكل أموالهم بالباطل.

٢ـ انتهاك حرمات الله وحرمات الناس.

٣ـ دليل على عدم الإيمان بالله العليم.

٤ـ فيه تحطيم لدعائم المجتمع المسلم المتكامل المسالم.

٥ـ عمل من أعمال المنافقين والفسقة المجرمين.

٦ـ كبيرة من كبائر الذنوب.

٧ـ طريق موصل إلى النار.

٨ـ سبب في فقد ثقة الناس بعضهم ببعض".[1].

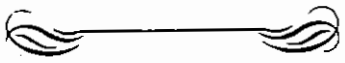

(١) نضرة النعيم ١٠/ ٤٤٧٦.

obeikandi.com